

DOI: 10.54240/2318-015-001-011

طُرُق أسْرُ الجزائريين من طرف الأوروبيين خلال العهد العثماني
European methods of enslaving Algerians in the Ottoman era

اسم ولقب المؤلف المرسل: لخضر بوطبة - Lakhdar Bouteba صص 233- 269

الدرجة والعنوان المهني: أستاذ التعليم العالي، جامعة محمد لمين دباغين- سطيف- الجزائر.

البريد الإلكتروني: boutelalakhdar@yahoo.fr

تاريخ الاستقبال: 2024/12/21.. تاريخ المراجعة: 2025/1/10.. تاريخ القبول: 2025/2/26.

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف عمق المعاناة التي تعرض لها الأسرى الجزائريون خلال فترة الحكم العثماني، مع التركيز بشكل خاص على طرق وأساليب الأسر التي مارسها القراصنة والبحارة الأوروبيون من عمليات الخطف من القرى والمدن، والاعتقالات في البحر، والأسْرُ في الموانئ الأجنبية خلال الحروب البحرية، مروراً بالظروف القاسية التي عاشها الأسرى في السجون وفي مقاعد التجديف على متن السفن الحربية. كما ستتطرق الدراسة إلى عملية عرض الأسرى للبيع في أسواق العبيد في مدن مثل مالطا، ليفورنو، صقلية، البندقية، نابولي، جنوة وفرنسا، وكيف كانت هذه الأسواق تشكل جزءاً أساسياً من تجارة الرقيق في البحر الأبيض المتوسط. والمأساة اليومية للأسرى من وصف الظروف المعيشية القاسية التي كان يعيشونها، بما في ذلك الاستغلال المفرط، العمل الشاق، والتعذيب. كما سيتم تسليط الضوء على تجربة المجدفين الأسرى الذين كانوا يستخدمون في تشغيل السفن الحربية.

وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على معاناة الأسرى الجزائريين في السجون الأوروبية، وتوثيق هذه المعاناة، وكذا فهم الدوافع والأسباب التي دفعت القوى المسيحية إلى ممارسة مثل هذه الأعمال الوحشية. وكذا تسليط الضوء على أهمية دراسة هذه الفترة التاريخية لفهم جذور الصراع في البحر المتوسط.

وستتبع الدراسة منهجاً تاريخياً تحليلياً، حيث سيتم الاعتماد على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع، وسيتم تحليل هذه المصادر باستخدام أدوات التحليل التاريخي المختلفة، بهدف الوصول إلى نتائج موضوعية ودقيقة.

الكلمات المفتاحية: الأسرى، اختطاف، الجزائريين، السفن، البحرية، السجون، المأساة، الفداء، التجديف.

ABSTRACT : This study aims to delve deep into the suffering endured by Algerian captives during the Ottoman period. It will focus specifically on the methods and techniques of kidnapping employed by European pirates and sailors: abductions from villages and towns, arrests at sea, and capture in foreign ports during naval wars. The study will also examine the miserable living conditions of prisoners in prisons and at the oars of galleys, as well as their sale in slave markets in cities such as Malta, Livorno, Sicily, Venice, Naples, Genoa, and Marseille, which formed a significant part of the slave trade in the Mediterranean. It will describe the tragic daily lives of these captives, highlighting the excessive exploitation, forced labor, and torture they were subjected to. The study will also shed light on the experience of captive rowers used to power galleys. The primary objective of this study is to illuminate the suffering of Algerian captives in European prisons, to document these hardships, and to understand the motivations and reasons that drove Christian powers to commit such barbaric acts. It also emphasizes the importance of studying this historical period to comprehend the roots of conflicts in the Mediterranean. This study will adopt a historical analytical methodology, relying on a variety of sources and references. These sources will be analyzed using historical analysis tools to obtain objective and accurate results.

Keywords: Captivity, Kidnapping, abduction, captives, Algerians, Ships, navy, Prisons, Ransom, Tragedy.

المقدمة: تعتبر قضية الأسرى الجزائريين في الدول الأوروبية خلال العهد العثماني من القضايا التاريخية التي ظلت غائبة عن الأبحاث الأكاديمية لفترات طويلة، رغم أهميتها في فهم الديناميات المعقدة للعلاقات بين العالم الإسلامي والمسيحي في البحر الأبيض المتوسط. في حين توجد دراسات موسعة حول معاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر، فإن مصير الأسرى الجزائريين في البلدان الأوروبية لا يزال غامضاً، مما يترك فراغاً معرفياً كبيراً.

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة ملء هذا الفراغ من خلال استكشاف عمق المعاناة التي تعرض لها هؤلاء الأسرى، مع التركيز على الجوانب التالية:

- طرق الأسر من خلال تحليل مختلف أساليب الأسر التي مارسها القراصنة الأوروبيون، من عمليات الخطف في البحر إلى الاعتقالات في الموانئ. ظروف الأسر، بالتطرق إلى الظروف

القاسية التي عاشها الأسرى في السجون الأوروبية وعلى السفن الحربية، بما في ذلك الاستغلال المفرط والعمل الشاق والتعذيب.

- تجارة الرقيق، من خلال مناقشة دور أسواق العبيد في مدن مثل مالطا وليفورنو وصقلية في تجارة الرقيق بالبحر الأبيض المتوسط، وكيف كان الأسرى الجزائريون جزءاً من هذه التجارة. - الأسباب والدوافع، حيث ستسعى الدراسة إلى فهم الدوافع والأسباب التي دفعت القوى الأوروبية إلى ممارسة مثل هذه الأعمال الوحشية.

كما ستبحث الدراسة في الأثر التاريخي لهذه الممارسات على العلاقات بين الجزائر وأوروبا، وكيف ساهمت في تشكيل هوية المنطقة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تساهم في:

إعادة كتابة التاريخ: من خلال تسليط الضوء على جانب مهم ومهمل من التاريخ الجزائري، فإن هذه الدراسة تساهم في إعادة كتابة التاريخ من منظور الضحايا، وستساعد في فهم أعمق للعلاقات الدولية في البحر الأبيض المتوسط خلال العهد العثماني، وكيف كانت القوة والعنف يشكلان جزءاً أساسياً من هذه العلاقات.

وستعتمد هذه الدراسة على منهج تاريخي تحليلي، حيث سيتم الاعتماد على مجموعة متنوعة من المصادر الأولية والثانوية، بما في ذلك المصادر الأرشيفية والسجلات التاريخية والشهادات الشفوية. سيتم تحليل هذه المصادر باستخدام أدوات التحليل التاريخي المختلفة، بهدف الوصول إلى نتائج موضوعية ودقيقة.

كيف كان يتم أسر العبيد الجزائريين؟ كانت القرصنة المسيحية التي كانت تتخذ من صقلية ومالطا وجزر البليار والسواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط قواعد لها¹، تشن هجمات مستمرة على التجارة والقرى الساحلية الجزائرية. وقد ابتكر القراصنة العديد من الطرق لاختطاف الجزائريين وتحويلهم إلى عبيد.

1- طرق الأسر:

1 كان قراصنة القديس يوحنا يتخذون من جزيرة رودس مقراً لهم في البداية، وعندما استولى الأتراك العثمانيون على هذه الجزيرة نقلوا نشاطهم إلى جزيرة مالطة وأصبحوا يسمون فليسان مالطة، وكانوا من أشرس القراصنة الذين يستهدفون المسلمين وأقسامهم.

1-1- اختطاف السكان المحليين: قبل وصول الأتراك إلى منطقة المغرب، كانت الغارات على السواحل هي الطريقة المثالية والأكثر اقتصادية للحصول على العبيد، حيث كانت تُقلل المخاطر، وتُزود الأسواق بالعبيد والغاليات¹ المسيحية².

يروى الرحالة الشرقي عبد الباسط بن خليل³، الذي زار المنطقة عام 1464، أنه عند عودته من وهران إلى تونس اضطرت السفينة إلى الرسو في بجاية، حيث وجد "البربر يهربون خوفاً من أن تكون سفينتهم تابعة للقراصنة المسيحيين الذين كانوا يغيرون ملابسهم للتخفي والقبض على المسلمين"⁴.

وكان فرسان مالطا "يُسلحون سنوياً حوالي اثني عشر غالية لشن غارات على السواحل غير المحمية"⁵.

ويذكر ألونزو دو كونتريراس Alenzo de Contreras، وهو أحد صيادي العبيد، في اعترافاته أنه كان ينهب سواحل المغرب (والشرق الأوسط) ويفتخر بذلك، قائلاً: "لقد حصلنا على الكثير من الغنائم لدرجة يصعب حصرها، وعاد الجميع أثرياء، وقد قمنا بسرقات لا تصدق في البحر والبر"⁶.

1 الغاليير galère هي نوع من السفن البحرية البحرية التي كانت تستعمل في البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديث. لمزيد من التفاصيل حول أنواع السفن في الجزائر خلال العهد العثماني أنظر، نعيمة بوحشوش: أنواع السفن في البحرية الجزائرية من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، مجلة البحوث التاريخية، ع 1، مج 6، 2022. ص ص 516-533.

2 Moulay Belhamissi : Les captifs algériens et l'Europe chrétienne (1518-1830), édition ENAL, Alger, 1986 ? p81.

3 هو عالم وفقه ورحالة مصري زار الجزائر وكتب عنها معلومات قيمة. لمزيد من التفاصيل ول هذا الرحالة يُنظر، شريف عبد القادر: رحلة عبد الباسط بن خليل إلى الغرب الأوسط 688 هـ - 2681م/672هـ-2688م)، مجلو دراسات تاريخية، مج 10، ع 1، 2022. وكذلك، ولط موسى إبراهيم علي: رحلة ابن شاهين الملطي إلى المغرب والأندلس (بين التجارة وطلب العلم)، مجلة كلية الآداب، ج2، جامعة بني سويف، 2020.

4 رحلة تحمل عنوان: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم. الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم للمؤلف زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الحنفي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤ م.

المقطع الذي يتحدث عن بجاية ذُكر من قبل نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر....، 1975، ص 87.

5 Mathieu: Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVI et XVII siècles», A.E.S.C. 1954, pp. 157-164.

6 P. Hubac : Les barbaresques, (Collections :Histoires d'Outre Mer), Berger Levrault, Paris, 1949, pp. 161-162.

أما عن سكان مايوركا، فيقول دانكور (Dancourt) "إنهم جميعًا بحارة ماهرون وقراصنة ولصوص ماهرون، ويقومون باستمرار بشن غارات على سواحل البربر ويختطفون أعدادًا كبيرة من العبيد".¹

لقد كانت القرصنة المسيحية تفتك بالسواحل الجزائرية بأكملها، من وهران إلى القل. وكانت العديد من الغارات تُدمر الأماكن غير المحمية. وكان الفالانسي خوان كانيت، القائد الإسباني لسفينة حربية ذات الـ 14 مقعدا مقرها مايوركا، يصل أحيانا حتى إلى مدينة الجزائر. وكان يأتي ليلاً ويختطف المسلمين النائمون تحت الأسوار.²

وبعد أن زار وهران قائد الأسطول الفرنسي فيليب دو كوندي Philippe de Condi، في 22 جويلية 1620، (التي كانت لا تزال تحت الاحتلال الإسباني)، قام باختطاف سفينتين جزائريتين، وأسر 60 بحارًا. وتسببت الاشتباكات بين الفارس غارنيه Chevalier Garnier والبحارة الجزائريين³ في سبتمبر 1634 في أسر وقتل المئات منهم.

وفي عام 1563 اختطف خوان ري Juan Rey، قائد سفينة من سيوت، حوالي 20 شخصًا من الساحل الجزائري، وباعهم عبيدًا للتجديف في جنوة.⁴ وتخبرنا رسالة مؤرخة عام 1710 عن خروج سفينة تسمى لاس دي بالاس Las de Pallas بقيادة القبطان غراسون Grasson لمواصلة القرصنة قبالة سواحل باربارية.⁵ وفي 21 ماي 1775، هاجمت عدة سفن حربية مسيحية ثلاث سفن صغيرة من نوع الصندل بالقرب من أسوار القالة، وتمكنت من أسر اثنتين منهما وبيع طاقمها المؤلف من 22 شخصًا في مالطا.⁶

1 J. P. Vittu : un document sur la Barbarie en 1680-1681, la relation de voyage du sieur Dancourt... Cahiers de Tunisie, 1977, p. 300. La partie concernant l'Algérie, pp. 295-319.

2 Fernand Braudel : La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris, 1985, II, p. 197.

3 Mathiex : Levant, Barbarie et Europe chrétienne Bull. de la Société d'Histoire moderne, 2/1958, p. 7

4 P. Masson : Les galères de France, Marseille port de guerre (1481-1781) par chez Hachette, 1938 p. 87.

5 Moulay Belhamissi : Les captifs algériens et l'Europe chrétienne (1518-1830), édition ENAL, Alger, 1986 ? p81.

6 حملت الحكومة الجزائرية فرنسا المسؤولية عن ذلك، حيث كانت القالة في ذلك الوقت مستعمرة فرنسية بموجب عقد إيجار. وقام القنصل الفرنسي في مالطا باتخاذ إجراءات قانونية للدفاع عن الأسرى. وحكمت المحكمة التجارية بأن سفيني الصندل والأدوات والممتلكات الأخرى قد تم الاستيلاء عليها في عرض البحر، وفي مكان غير محمي، وبما أن حصن فرنسا لم يطلق النار، فلا

وفي صيف عام 1755، قام قرصانان من إبيزا ¹Ibiza باختطاف سبع سفن و80 عبدا من الساحل الجزائري.²

كما يروي دو غرامون أن الفارس دو فالبال de Valbelle قام بهجوم مفاجئ على الساحل الجزائري وتمكن من اختطاف 500 رجل ليعملوا كمجذفين في مالطا. أما الكونت دو فيروي de Verüe فقد قام بكمين جريء في خليج صغير بالقرب من مدينة الجزائر واستولى في الصباح الباكر على سفينة كان على متنها أربعة رجال من النبلاء المغاربة و ابن أخ الباشا.³ وقد أدت الغارات المالطية المتكررة على السواحل المغربية إلى حالة من انعدام الأمن المستمر. حيث كتب غوسي Gosse قائلاً: "كان فرسان القديس يوحنا يعيشون على نهب أعداء الإيمان".⁴ يقصد الجزائريين.

1-2- الأسر في البحر: كان الخوف الأكبر الذي يواجه البحارة والركاب هو الخطف في عرض البحر، حيث كان الإنسان هو من يشكل أخطر تهديد للإنسان. فمواجهة غير متوقعة، واعتداء ناجح كانا كافيين لإنهاء الحرية، وبداية حياة مليئة بالعذاب والجحيم. لقد كان القراصنة الأوروبيون نشطين للغاية. حيث كانوا يجوبون البحر الأبيض المتوسط والأطلسي باستمرار. وكان الفارس إسكرايفيل Escrainville، ممثل فرنسا في مالطا، يتباهى بأنه استولى، بمساعدة سفينتين، على أربع سفن مسلمة من قافلة في عامي 1664 و1665، مما جلب له "ثروة 200 ألف أوقية".

ونظرا لكون الاعتداءات الأوروبية على السفن الجزائرية في البحر كثيرة لا حصر لها سنكتفي بسرد بعض الأمثلة فقط، ففي إحدى الغارات أقدمت السفينتان الحريتان

يمكن الاحتجاج بحق الحماية أو اللجوء، وأن القالة لم تكن تعتبر أراضي ملك فرنسا أو جزءاً من دولته، بل كانت مجرد منطقة تابعة للجزائريين... وبالتالي لا يوجد ما يمنع من قانونية الاستيلاء على الصندلين المذكورين. أنظر:

Jacques Heers: les Barbaresques, la course et la guerre en méditerranée XIVeXVIIe siècle, Ed, LAP, Perrin , 2001.

1 هي من أكبر الجزر الإسبانية في جزر البليار.

2 هنري الما دوغرامون: تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024، ص 210.

3 Histoire de la piraterie, p. 51.

4 La Roncière : Histoire de la Marine française, IV, p. 404 et p. 693.

الإنجليزيتان "برانس فريدريك Prince Fredric وبرانس جورج Prince George على مهاجمة سفينة فرنسية قريبة من السواحل الجزائرية، واستولت على ستة جزائريين كانوا في طريقهم إلى ليفورنو¹.

وكانت ممارسة اختطاف المسلمين في السواحل وفي البحر إما من قبل قراصنة يعملون لحسابهم الخاص، متجاهلين المعاهدات الموقعة، أو من قبل أساطيل بأوامر رسمية. وكانت حالة الحرب شبه الدائمة مع إيالة الجزائر تبرر هذه الأعمال².

وقد قام السيد فورميلييه Fourmillier، وهو متخصص في هذه الغارات، بأسر العديد من الجزائريين. ففي يناير 1687، سلم ثلاثة عبيد إلى دوق مورتيمار، والتي كانت سفينتها الأم "المُبْهَج" تصل إلى مرسيليا في اليوم السادس عشر.

ويخبرنا المؤرخ مولاي بلحميسي أن الغارات البحرية كانت تؤدي ثمارًا أكثر بكثير من الهجمات الانفرادية. فقد تمكن دوق نويي من أسر 51 جزائريًا في إحدى الغارات، واستولت سفن دوق مورتيمار في 8 جويلية 1687، على 10 جزائريين بالقرب من سواحل المغرب بحجة أن وثائق سفينتهم قديمة³.

في 20 جويلية 1687 تم الاستيلاء على السفينة الشهيرة الشمس بالقرب من تكسيل، رغم وجود معاهدة سلام، وأُسِرَ 125 بحارًا من الرياس، ومساعدتي الرياس، كاتب، قبطان، جنود، صباغ، خباز، حلاق... سقطوا في العبودية⁴. وفي 3 أوت تم أسر كارافيل وطاقمها المكون من 65 بحارًا¹.

1 Moulay Belhamissi : op, cit, p21.

2 كانت الجزائر في حالة شبه حرب دائمة مع مختلف القوى المسيحية منذ إلحاقها بالدولة العثمانية رسميًا سنة 1520، وكان حكامها حريصين على تقوية دافعاتها وقدراتها الحربية، ودائمًا على أهبة الاستعداد للتصدي للغارات الأوروبية المسيحية. لمزيد من الاطلاع أنظر، هنري دالما دوغرامون: تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.، وأحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1976.

3 Moulay Belhamissi : op, cit, p2

4 وما أن بلغ خبر هذه القرصنة إلى مسامع الحكومة حتى كتب الداوي الحاج حسين ميزومورتو (1683-1688) إلى الدوق قائلًا: "إننا نخبرك بأن هذا الجواز ليس إلا حجة اتخذتها لتأخذ هذه السفينة. إن أخذ سفينة لا يجعل المملكة متسولة، ولكن هذا الفعل لا

وفي العام التالي 1688 استولى أنفريفيل d'Anfreville، رئيس الأسطول الفرنسي الذي كان يقود السفينة المسماة Le Sérieux، على سفينة أخرى تابعة للجزائر. وفي نهاية نوفمبر التقى في بحر سردينيا بالسفينة الجزائرية التي بعد أن أصبحت غير قادرة على القتال، اضطرت إلى الجنوح على الساحل الجنوبي لهذه الجزيرة بالقرب من سان أنطونيو وفاكا Vaca. كانت مسلحة بستة وثلاثين مدفعاً، وعلى متنها 300 رجل... وتم نقل هؤلاء جميعاً إلى طولون². كان العدد الإجمالي للأسرى مذهباً، حيث بلغ حوالي 200 أسير في شهرين فقط. وكانت هذه الغارات توفر لفرنسا وخاصة لملك فرنسا، أعداداً كبيرة من المجندين القسريين للعمل في الغاليرات. ففي حين لم يتمكن الملك من شراء سوى 257 مجنّداً في 27 شهراً، تمكنت سفنه من أسر 241 أسيراً في شهرين فقط. وكان عمر هؤلاء الأسرى لا يهم، فقد كان أصغرهم يبلغ من العمر 10 سنوات وأكبرهم 79 عاماً.

وتجدر الإشارة إلى أنه يكن البحارة الجزائريين هم الهدف الوحيد، بل كان أي جزائري بغض النظر عن عمره أو مهنته، هدفاً سهلاً للاختطاف.

ففي عام 1689، تم أسر 8 جزائريين كانوا في طريقهم إلى مكة على متن سفينة إنجليزية عند خروجهم من تونس على يد قراصنة فرنسيين³. وفي العام التالي، اضطر خمسة آخرون كانوا في مهمة في سلا إلى العودة على متن قارب تجاري سلاوي محمل بالقمح. وفي طريق عودتهم صادفوا سفينة فرنسية قامت باختطافهم وأخذتهم إلى مرسيليا، بعد أن صادرت كل ممتلكاتهم⁴. واستولى تورفيل Tourville الذي كان على رأس اثني عشر سفينة حربية فرنسية،

يليق بسيد جليل مثلك، فإن هذا كل ما يستطيعه الماكر. وسنقول لك يا صديقنا الجليل، إن هذه الحيل السارقة كانت تنسب إلينا في الماضي، ولكنها قد انتقلت إليكم الآن والحمد لله". (Plantet, correspondance 1, 145).

1 Moulay Belhamissi : op. cit, p39.

2 La Croix (Le Sieur): Relation universelle de l'Afrique ancienne et moderne, II, p. 186.

3 Plantet : Correspondance des Deys... 1, p. 252 et p. 305.

4 Plantet : op. cit. 1, p. 352-353.

رسالة شعبان داي إلى بوانشارتران Pontchartrain وزير لويس الرابع عشر في 29 أكتوبر 1691 نقرأ فيها: "ولم يمض شهر حق وجدنا فرنسيين على متن سفن جنوبية وليفورنية ومالطية وإسبانية. وكانوا لا يزالون في الميناء عندما طلبهم قنصلكم (لومار) وسُلموا إليه كما تنص عليه معاهدة السلام".

على سفينة جزائرية في مضيق جبل طارق. ورغم دفاع قائد هذه السفينة والي رايس الشجاع بمدافعه وبنداقه بكل ما أوتي من قوة، إلا أن سفينته غرقت وأُسِر من بقي على قيد الحياة من رجاله.¹

وتوالت المآسي، حيث شنت الدول المسيحية هجمات متكررة على السفن الجزائرية. نذكر هنا بعض الأمثلة:

ففي عام 1711، استولت سفينة قرصنة من مالطا على سفينة جزائرية ونقلتها إلى مايوركا مع طاقمها المكون من 200 شخص.² وفي صيف عام 1716 أبحرت سفينة تحمل جواز سفر وعلم فرنسي من الجزائر، وعلى متنها حجاج متجهون إلى مكة. رست هذه السفينة في تونس لحمل بحجاج آخرين، ثم أبحرت مجدداً. غيّر القبطان بعد ذلك مسار السفينة، ورسا في صقلية. وهناك سلم المسلمون واستولى على جزء من ممتلكاتهم. وباع 118 منهم كعبيد في سيراكوزا.³

إلى جانب الصراعات الصغيرة، كانت العاصمة تشهد مآسي كبيرة. ومن أبرز هذه المآسي غرق السفينة الدانزيك. فقد سُرقت سفينة أوغوستوس الثالث من الدانزيكيين عام 1749 م. كانت سفينة كبيرة وجميلة وجديدة... وحولها الداي إلى سفينة حربية رئيسية. ولكن في ديسمبر 1751 م، خلال معركة عنيفة ضد سفن حربية إسبانية، وبعد مقاومة استمرت أربعة أيام تم إحراقها. وكانت الخسائر البشرية كبيرة! حيث تم أسر 325 بحاراً، وإصابة 80 آخرين بجروح، من بينهم الراكب محمد الشريف.⁴

"وقد أُسروا سنة 1690، وكان هؤلاء أعضاء البعثة في سلا ما زالوا محتجزين في فرنسا سنة 1707. وقد ذكر ذلك في رسالة من الداي حسين إلى بوانشارتران. "ونحن نرغب في أسماء محمد الصغير، صالح بن قاسم، علي بن عبد الرحمن، مسعود بن مسعود، محمد بن محمد، ويوسف بن عبدالله. هؤلاء الستة الأخيرون من رعايانا، وكانوا في سلا، وعند سقوط علي رايس، استقلوا سفينة تجارية للعودة إلى الجزائر، فأسروهم قراصنة فرنسيون وتم أخذهم إلى فرنسا".
(رسالة يوم 7 جانفي 1707. Plantet : Corres. II, pp. 61-62.)

1 Plantet : op. cit. 1, pp. 297-298.

2 Moulay Belhamissi : op. cit, p23.

3 Plantet : op. cit. II, pp. 93-94. Lettre d'Ali Dey à Louis XV, 15 mai 1717.

4 Coulet du Gard: *la Course et la piraterie en Méditerranée*, éd, Empire, Paris, 1980, p125.

وبعد أربع سنوات من الحادثة السابقة الذكر أغرقت مجموعة من سفن الشيباك الإسبانية مدعومة بسفن حربية ثلاث وحدات بحرية جزائرية بالقرب من رأس سانت مارتين، واستولت على أكثر من 500 بحار إلى قرطاجنة. كان طاقم هذه السفن يضم 1100 رجل شاب، اختبروا وتطوعوا للخدمة تحت قيادة أشهر ثلاثة رياس في الرئاسة: الحاج موسى، وحسين بربوشة، وحسين الملقب بالبارسيلو الصغير،¹ وهو قرصان إسباني أصبح أميراً، وقام بأسر بين عامي 1762 و1769 تسعة عشر سفينة أرسلت طواقمها إلى الغاليرات. وفي ملف من الأرشيف الإسباني، ورد ذكر أسرى من المغاربة في عام 1784 على متن سفينة فرنسية.²

3-1- الأسر في الموانئ الأجنبية: يبدو أن الخطر الذي كان يهدد الجزائريون لم يكن يقتصر على التواجد في البحر، بل كانوا يجدون أنفسهم، لسبب أو لآخر (سفر، تجارة أو عبور)، في ميناء أوروبي. وكذلك كان بحارة الجزائر يرسون، وفقاً للاتفاقيات المبرمة في موانئ النصرى. ولكن العدو كان يترصد، وكان الخطر يحدق بهم في كل لحظة. ومن ذلك ما تعرضت له سفينة فرنسية من نوع بريغانتين التي كانت محملة بالشعير قادمة من طرابلس عبر مالطا، فما كادت ترسو حتى تم اعتقال 5 من ركبها المسلمين، من بينهم الجزائري قارة محمد، على يد الجمارك الإسبانية.³ ويجب الإشارة إلى أنه حتى في الموانئ الإسلامية، كان الجزائريون يواجهون الخطر. ففي مارس 1828 في بورتو فارينا في تونس، كانت سفينة جزائرية مزودة بستة مدافع راسية عندما تعرضت للمجوم، وتم اختطاف 63 من بحارتها على متن الفرقاطة النجم.⁴

4-1- الحروب البحرية: لقد استنزفت المساعدة الدائمة التي قدمتها الجزائر إلى السلطان العثماني في حروبه العديدة جزءاً كبيراً من الأسطول البحري الجزائري.⁵ فقد كتب بوديكور

1 Ibid, p23

2 Moulay Belhamissi : op. cit, p24.

3Moulay Belhamissi : op. cit, p25.

4 Moulay Belhamissi: Histoire de la Marine Algérienne 1516-1830, E. N.A. L, Alger, 1986, p104.

5 كان من أبرز مظاهر تبعية الجزائر للدولة العثمانية، ومن دلالات العلاقات الطيبة التي كانت تربط بين الحكومتين التعاون العسكري، حيث كانت الدولة العثمانية حريصة على الإبقاء على إيالة الجزائر التي كانت تمثل ذراعاً التي تبتطش به في الحوض الغربي للبحر المتوسط على المحافظة على قوتها، فقوتها تعكس قوة وهيبة الباب العالي، فكانت لا تتوقف على تزويدها ودعمها بالعتاد وبالمجندين بشكل مستمر حتى نهاية الحكم العثماني، ومن جهتها لم تكن إيالة الجزائر تتأخر عن تلبية دعوات السلاطين العثمانيين في تقديم يد المساعدة كلما كانت في حاجة إليها. لمزيد من التفاصيل أنظر الكتب الأوروبية التي تم تأليفها خلال هذا

يقول: "لم يحدث أي حدث في حوض البحر الأبيض المتوسط إلا وتورط فيه القراصنة الجزائريون. وكانت القوة الرئيسية للبحرية العثمانية بأكملها تعتمد عليهم.¹ " وقد تسببت هذه الحروب في خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وسقط عدد كبير من البحارة في أيدي الأعداء. ومن معركة بريفيزا Préveza (1538)² إلى معركة نافارينو (1827)³، خسرت البحرية الجزائرية في الحروب البحرية العديد من القباطنة المهرة، والبحارة الأقوياء. ويقال إن الغنائم التي حصلت عليها في معركة ليبانتو كانت في المقام الأول غنائم بشرية.⁴ كما أدت المعارك التي دارت أمام الجزائر أو بالقرب منها إلى فقدان البحرية الجزائرية عشرات البحارة.⁵

العصر ككتاب لوجي دوطاسي: تاريخ مملكة الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024. دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.

وهنري دالما دوغرامون: تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024. و بيار دان: تاريخ باربارية وقراصنتها. ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024. وغيرهم.

La guerre et le gouvernement d'Alger, p. 47.:1Baudicour

2 هي إحدى أقوى المعارك البحرية التي شهدتها في البحر المتوسط خلال العصر الحديث، جرت بين الأسطول العثماني وأسطول التحالف الأوروبي المعروف بالعصبة أو الجمعية المقدسة تحت زعامة البابا، وكان الأسطول العثماني تحت قيادة خير الدين بربروس ومساعديه صالح رايس ودرغوث رايس، وكان البحار الشهير أندري دوريا قائد أسطول العصبة، وانتهت المعركة بانسحاب دوريا بالأسطول المسيحي خوفا من الهزيمة الوشيكة. لمزيد من المعلومات أنظر، جون وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، م. و. ك، الجزائر، 1986، ص ص53-54. وقد تكرر بعد هذه المعركة التي انتصر فيها الأسطول العثماني تفوقه البحري لمدة ثلث قرن. أنظر كذلك، لمنور مروش: دراسات عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص ص96-97.

3 بخصوص مشاركة الأسطول الجزائري طرحت دراسة لأستاذ التاريخ العثماني بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة خليفة حماش جدلا كبيرا، حيث خلص في نهاية الدراسة إلى أن الرأي القائل بمشاركة الجزائر في هذه المعركة التي جرت وقائعها في اليونان في أكتوبر 1827 حجتة ضعيفة، ويفتقر إلى الدليل والبرهان القوي، فرجع أن الأسطول الجزائري لم يتمكن من المشاركة في هذه المعركة. لمزيد من التفاصيل أنظر، خليفة حماش: الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1236-1243هـ/1821-1827م-قراءة جديدة في رواية مشاركة الأسطول الجزائري وتحطمه في معركة نافارين 1 ربيع الثاني 1243هـ/20 أكتوبر 1827، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2021.

4Aymard: Mélanges F. Braudel, I, p. 57.

فُيَسِمَ 3651 عبداً بين الغالبيين: منها 558 للبابا، و1223 ليندقية، و1870 لإسبانيا.

5 في عام 1695، أسير 200 من الجزائريين، وفي عام 1698، أسير 80 آخرون على أيدي قراصنة البابا. وفي عام 1702، سُجِّلَت عملية أسير 60 مغربياً.

تشير شهادة هايدو، وإن كانت تعود إلى نهاية القرن السادس عشر، إلى حجم النزيف الذي عانت منه البحرية الجزائرية. حيث كتب هذا الراهب البينديكتيني الإسباني يقول: "في عام 1590 كان 12 رايساً للغاليرات والبريغانتينات في سجون كاستيل نوفو Castel Novo، وقد تم أسرهم في أوقات مختلفة، وعلى أيدي أشخاص مختلفين، وكان من بينهم مصطفى أرناؤوط¹، القرصان الجزائري الشهير، وهو رجل ذو نفوذ كبير، متزوج من قريبة القبطان مامي أرناؤوط². وبهذا الشكل عانى طوال الفترة العثمانية رياس وبحارة ومساعدون ونساء وفتيات وشيوخ من ويلات العبودية.

2- أسواق العبيد: بعد أسر الأبرياء كانوا يُنقلون إلى مراكز التجارة الكبرى للعبيد. وشهدت السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط والجزر الرئيسية التي كانت تحت السيطرة المسيحية ازدهاراً كبيراً لتجارة العبيد المسلمين.

وكان التجار والباعة لهذه السلع البشرية متعددين، من توسكانيين ومالطيين وجنوبيين وفرسان مالطا وبنادقة، وقادة قراصنة، وقادة في الجيش البابوي، وتجار من مرسيليا ومغامرون إسبان، حيث كانت الحروب والغارات الناجحة تجلب لهم ثروات طائلة³. ورغم انتشار أسواق العبيد في العديد من الأماكن، إلا أن أشهرها كانت:

أ-مالطا: جميع القناصل المعتمدين في الجزيرة كانوا يتمتعون بخصائص ائتمانية مفتوحة لإبرام الصفقات. وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وجد هؤلاء الدبلوماسيون تجار الرقيق ما يكفي لتلبية احتياجات مجدفي السفن الحربية في بلدانهم⁴.

على إثر فضيحة، أغلقت السلطات العثمانية الكنيسة الكبرى في غلاطة Galata، والتي تسمى سان فرانسيس. وفي عام 1592 وعد السيد دو بريف de Brèves أنه إذا أمكن الاحتفال بالقداسات فيها مرة أخرى، فإنه سيطلق سراح 30 مسلماً كانوا محتجزين في مالطا.

1 كانت تطلق كلمة أرناؤوط خلال العهد العثماني على الأشخاص الذين قدموا من ألبانيا.

2 فراي ديشو دو هايدو: تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريج، الجزائر، 2022، ص189.

3 Belhamissi Moulay: Alger et l'Europe et la guerre secrète (1518- 1830), Ed, Dahlab, Alger, 1999,p67.

4 Plantet: Correspondance..., I, pp. 1-2. Lettre du 4 avril 1597.

وفي رسالة إلى كولبير¹ مؤرخة في عام 1675، قال فارس بيوكور: "لقد مضى وقت طويل منذ تلقيت أي أخبار عن القراصنة (في مالطا). لقد أرسلت 20 أو 25 تركيًا منذ شهرين. وما زال لديّ بعضهم سأسرلهم في أقرب فرصة. لم أشتري الكثير منذ فترة لأن القراصنة لم يحققوا الكثير من الغنائم."²

ولكن إذا لم يكن أسر المسلمين يجلب مجدا في السفن، فإنه كان يمول خزينة جلالة الملك المسيحي. وقد أجاب المراقب دي مورانت على رسالة من أحد المراسلين قائلاً: "يمكنك كتابة رسالة إلى الماركيز سينيلاي لمعرفة المكان الذي سيأمر فيه الملك بتسليمك ثمن النساء والزواج الذين تم بيعهم في مالطا، وطلب منه إصدار الأوامر بذلك."³

قدر دو بايلي دو فرولاي Le bailli de Froullay قائد السفن الحربية في مالطا، في مذكرة مؤرخة في 29 ديسمبر 1729، عدد الطرابلسيين الذين تم أسرهم خلال فترة ولايته فقط، أي منذ عام 1722، ب 1300. ويجب إضافة الجزائريين والتونسيين. وقد قدر العدد الإجمالي بـ 9000 خلال ثورتهم الفاشلة في عام 1749. وعندما احتل نابليون الجزيرة في عام 1798، وجد أكثر من 2000 شخص مقيدين ويعملون في السفن الحربية لرهبان القديس يوحنا. ب. ليفورنو: من بين جميع الأسواق الإيطالية، يبدو أن أسواق ليفورنو كانت الأكثر نشاطًا. فكانت العاصمة توسكانا ليست مجرد ميناء تجاري كبير فحسب، بل كانت أيضًا مركزًا لتجارة الرقيق. ويُذكر أنه في عام 1547، اشترى الدوق الكبير، كوزمو دو ميديشي، 50 عبدًا مسلمًا من نائب الملك في صقلية بسعر متوسط يبلغ 40 إيكو لكل عبد. وفي نهاية القرن السابع عشر، كان هناك دارين أو ثلاث دُور متخصصة في هذا النوع من التجارة في المدينة، "وكانت أفقرها تملك أكثر من 15 ألف إيكو كرأس المال."⁴

1 هو جان بابتيسست كولبير Jean Baptiste Colbert أحد وزراء المهين في عهد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر.

2Correspondance administrative sous Louis XIV, t. II, p. 888, cité par Berbrugger, R.A., 1856, p. 39.

3 Moulay Belhamissi : op. cit, p27.

رسالة موجبة من لا سيوتا بتاريخ 3 أغسطس 1683. تذكر أنه في عام 1664 تم بيع عبد مسلم في فاليتا La Valette مقابل 300 ليرة وفي عام 1677 مقابل 350 ليرة.

4 Moulay Belhamissi : op. cit, p28.

وفي عام 1674، كان سعر الأسرى المسلمين 145 قرشا، وفي العام التالي انخفض إلى 130 قرشا، وذلك بسبب زيادة العرض على الطلب.

ومع ذلك، كان العبيد الذين يتم جلبهم إلى السفن الحربية التوسكانية يُباعون دائمًا. وكان عالم السجون بحاجة إلى التجديد باستمرار. ووفقًا لفرناند بروديل، خلال العقدين الأولين من القرن السابع عشر، مر أكثر من 10 آلاف أسير بالمدينة. كما أضاف أن "ليفورنو مهما قلنا، كانت جزائر أخرى".¹

واستغل فرسان القديس إستيفان والقراصنة التوسكانيون المكانة الكبيرة التي كانت تحتلها المدينة وتأثيرها الاقتصادي، فقاموا بزيادة الهجمات على المسلمين لزيادة ثرواتهم. ويقال إنهم في عام 1678 أسروا أكثر من 15 ألف مسلم.²

ج. صقلية: بفضل موقعها الجغرافي، مارست هذه الجزيرة الكبيرة تجارة الرقيق. وقد تنافست بشدة مع جيرانها بهدف المشاركة في هذا النشاط المربح للغاية مع المراكز الأخرى.

في عام 1510، أدى استيلاء الإسبان على طرابلس الغرب (ليبيا حاليا) إلى إغراق أسواق صقلية بأعداد كبيرة من الأسرى، مما أدى إلى انخفاض أسعارهم بشكل كبير، وبالتالي تمكنت السفن الحربية الفرنسية من تجديد مُجديفها بسهولة.³

د. البندقية: كانت جمهورية البندقية تزود سوقها جيدًا في القرن السادس عشر. لقد كتب سينيلاي إلى قنصله في هذه المدينة قائلاً: "لا يمكنك أن تعمل شيئًا أكثر فائدة لخدمة الملك من أن تعمل على إرسال أكبر عدد ممكن من الأتراك إلى مرسلينا، ويجب عليك اغتنام كل الفرص لشرائهم".⁴ واختتم المراقب ريغون Regon اتفاقًا مع قائدين إنجليزين لشراء 200 تركي في البندقية.⁵

1 Braudel et Romano: Navires et Marchandises à l'entrée du port de Livourne (1547-1611), p. 24.

2 Moulay Belhamissi : op. cit, p28.

3 Ibid, p29.

4 Lettre du 16 décembre 1686, cité par Fournier, «un marché de Turcs... Bull. Historique et philologique, 1901, p. 572. 6. Masson, Les galères de France, p. 281.

5 Duchène: Marseille au passé, Roane, 1982, p10

هـ نابولي: تُخبرنا بعض التحقيقات، وإن كانت موجزة، أنه في عام 1568 كان هناك 75 أسيرًا من أصل مغربي من بين 210 أسرى في السوق. وبعد بضع سنوات في عام 1575، كان 17 منهم من الجزائر و15 من تونس من بين 455 أسيرًا¹.

و. جنوة: لم تبق جنوة بعيدة عن هذا التيار. فقد أصبحت واحدة من أهم المراكز لتجارة الرقيق وتجمعه. ففي جويلية 1749 تم فيها بيع 34 مسلماً، وكان متوسط سعر الواحد منهم 250 ليرة".

ن-فرنسا: كانت بروفانس ولانغيدوك وروسيون تمتلك أسواقها الخاصة. لكن مرسيليا كانت تفوقها بكثير. قبل القرن السادس عشر بكثير، كانت التجارة بهذه المدينة مزدهرة. فمذ القرن الثالث عشر، جعلتها البلدية بالفعل مصدراً مهماً للإيرادات. كان بيع العبيد يتم أمام كاتب العدل، مما كان يدر على المدينة حقاً قدره 12 ديناراً عن كل رأس يُباع بأكثر من 5 ليرات.²

وهكذا في مرسيليا رأينا شخصاً يدعى يوسف يطلب من شخص يدعى بونافو الحصول على "أمة سارازينية جميلة لشرائها من فالنسيا بإسبانيا". في مرسيليا دائماً بتاريخ 19 ماي 1248، تم شراء أمة تدعى عائشة بسعر 9 ليرات و15 سول من قبل جان ألماند، وليم أليجان، وبرنارد ليموت. وفي الثاني من جوان من نفس العام، تم بيع مسلم آخر يدعى أحمد إلى هيوج كاروك. وفي 13 من جويلية، تم بيع فاطمة من قبل النربوني جان لاتور إلى المارسييلي برنارد بران.³ كان الأسرى من غنائم البحر. وهناك وثيقة رسمية تعود لتاريخ 11 ديسمبر 1445 تتعلق ببيع 10 مسلمين من المغاربة تم أسرهم على متن قارب شرعي. وكان البائعون والمشترون من الإسبان، وكانت سفن الأطراف المتعاقدة راسية في ميناء المدينة الفوكية. وكان العديد من العبيد تتراوح أعمارهم بين الـ 20 و45. وكانوا من تونس والجزائر وقسنطينة ووهران وتلمسان، وكان من بينهم واحد من غرناطة. وكان السعر المحدد 70 فلورين للفرد.⁴

1 Moulay Belhamissi : op. cit, p28.

2 Duchêne: Marseille au passé, Roane, 1982, p. 10.

3 Loup-Durand: Pirates et Barbaresques, p. 171.

4 Moulay Belhamissi : op. cit, p29.

وإذا كانت مرسيليا مركزًا للبيع، فقد كانت أيضًا مكانًا مهمًا للأسرى. وكانت تشعر بحاجة ماسة للحصول على عبيد مسلمين. وكان العدد الكبير من السفن الشراعية الراسية في الميناء وفي طولون يتطلب وجود أكثر من عشرة آلاف مجدف. وبما أن التجنيد المحلي كان ناقصًا، لم يبق سوى اللجوء إلى القرصنة والشراء لسد العجز.

وقد انطلق قراصنة مرسيليا في البحار، ومدح الشاعر المهيّرب Malherbe أفعالهم في قصيدة لهنري الكبير حيث قال: "إن سفننا الشجاعة ستأتي من الجزائر محملة بالعبيد المغاربة لتفرغ حمولتها في مرسيليا".¹

ولكن غنائم القرصنة لم تكن كافية لتلبية الاحتياجات. لذلك أصبحت مرسيليا مشتريًا في الأسواق الإيطالية والمالطية.

3- سياسة الاستحواذ: ولتجنب المنافسة وإبقاء الأسعار منخفضة، تم اتخاذ القرارات على مستويات عالية. قال كولبير في رسالة إلى القنصل: "أرسل لك الأمر الذي طلبته مني، بمنع الفرنسيين من شراء الأتراك² حتى يسهل علينا الحصول على أولئك الذين تشتريهم لسفن الملك بسعر رخيص".³

تلقى القنصل الفرنسي في جنوة من وزيره في 17 ديسمبر 1677، توصية "بالعمل على شراء أكبر عدد من الأتراك يمكنه مقابلتهم سواء في جنوة أو في صقلية عن طريق تجار هذه المدينة الذين لديهم مراسلهم هناك، ولكن يجب الحذر من شراء أي شخص مسيحي".⁴ لم يرغب جلالته في استخدامه في قوادسه.⁵

كانت الأوضاع في جزر الأرخبيل التابعة للدولة العثمانية حساسة للغاية، مما استدعى توخي الحذر والسرية في عمليات الشراء.

1 Malherbe, œuvres, La Pléade, Gallimard, 1971, p. 783.

2 تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "أتراك" كان يستخدم في تلك الفترة للإشارة إلى: المغاربة، المصريين، السود، والطبع الأناضوليين.

3 Masson : op. cit. p. 280.

4 Allusion aux Grecs, sujets du Sultan Ottoman.

5 Masson: op. cit. p. 281.

بيعت فرقاطة الملك "لا فاي La Fée" للسيد بوسيل من طولون، مقابل 150 تركيا صالحين وقادرين على التجديف، على أن يتم الدفع على ثلاث سنوات، أي 50 تركيا لكل سنة، ويتم إيداعهم لدى وكيل الملك في مالطا، حيث يلتزم السيد بوسيل بتسليمهم على نفقته الخاصة. وإذا لم يتمكن من توفير هذا العدد، فسيضطر إلى دفع 350 فرنك عن كل تركي ناقص.¹

طلب الفارس Du Gout في عام 1662 إرساله إلى الجزر اليونانية "لشراء الأتراك الذين لا يكلفون 400 ليرة". وبعد ذلك بعامين، باع المراقب بيغون إلى ميلشور بورتالي Melchior Portally من مرسيليا، فرقاطة الملك "المحبوبة la Bien aimée"، مع كل معداتها، مقابل 138 تركيا، يدفعون أيضاً على ثلاث سنوات بمعدل 46 في السنة.²

كان بيع الأسرى المسلمين للمراقب العام للسفن الحربية صفقة مربحة للغاية في كثير من الأحيان. كان قادة السفن من بروفانس أو جنوة، وأصحاب السفن الذين يمارسون التجارة الساحلية، يشترون ثلاثة أتراك في ليفورنو بألف ليرة فرنسية، ويبيعونهم بألف وخمسمائة أو ألف وستمائة ليرة لهذه التجارة.³ ومع ذلك، كان تجار البشر يواجهون أحياناً خيبات أمل، أو أحداثاً غير متوقعة ذات عواقب وخيمة. ويقال إن العديد من الأسرى الذين تم شراؤهم من مالطا اضطروا إلى اعتناق المسيحية للهروب من غاليرات الملك. وكان لا بد من التدخل لدى البابا لتهدئة حماس محقق الجزيرة الذين عارضوا مغادرتهم.⁴

لم تكن التجارة والشراء كافية دائماً لتلبية احتياجات مرسيليا من المجدفين. لذلك كان الناس يلجأون إلى وسائل أخرى "للعثور على الأتراك". وكانت مأساة "أسرى الفلاندر" نتيجة لعمليات لا أخلاقية.

1 O. Teissier : Une visite à l'arsenal de Toulon, Paris, 1961, p. 86.

2 Moulay Belhamissi : op. cit, p33.

3 A. Zeisberg: Marseille, cité des galères à l'âge classique » Marseille, Rev, municipale, 3/180, p. 81.

4 Moulay Belhamissi : op. cit, p32.

بعد الانتصار الذي حققه الهولنديون على الإسبان في سلويس (معركة الإكليس في صيف 1604)، وبعد الاستيلاء على العديد من الغاليرات الإسبانية، تم إطلاق سراح المسلمين الذين كانوا يعملون على متنها. ووفقاً للسفير الهولندي في القسطنطينية، كان عددهم 1400 أسير¹. لقد سعى الهولنديون إلى إعادة توطينهم بهدفين: تسهيل فداء مواطنيهم الأسرى، وتطوير تجارتهم في المشرق. وكُلف الكابتن بيتر غريترين بإعادة مجموعة مكونة من 38 شخصاً إلى الجزائر. أما البقية، أي العدد الكبير، فقد حصلوا على جوازات سفر من الكونت موريس دي ناسو وعبروا فرنسا. ومنحهم هنري الرابع المرافقات اللازمة للوصول إلى مرسيليا للصعود على متن سفينة متجهة إلى المغرب. ولكنهم واجهوا شراً آخر هناك: فما إن وصلوا حتى تم القبض عليهم وكبلوهم بسلاسل العبودية مرة أخرى. وتم وضعهم على متن سفن الغاليرات. وبيع البعض الآخر، الذين كانوا أقل لياقة، وتم نقلهم للتجديف على سفن فلورنسا أو جنوة². حدثت بعض حالات من الكرم هنا وهناك، في فرنسا أو في أماكن أخرى. ويقال إن جينويًا اشترى عبداً في إسبانيا اضطر إلى تحريره عند مروره بتولوز. وأجبر تاجر أحضر سفينة محملة بالعبيد المغاربة من الجنسين إلى بوردو، ظناً منه ببيعهم هناك، على تحريرهم³. لم تكن إسبانيا بمنأى عن هذه التجارة. حيث كانت مدنها الساحلية من برشلونة إلى ملقة وجزر البليار، تستقبل نتيجة القرصنة أو الاختطاف. ونظراً للحاجة الكبيرة إلى المجدفين، كانت البلاد تستورد المزيد من الأسرى أكثر مما تُصدر⁴. أرسل بيرافون دو ريبيرا، قائد مدينة بجاية التي احتلتها إسبانيا منذ عام 1510، إلى شارل الخامس في 17 مايو 1534، رسالة غريبة ذكر فيها: "إن القرار الذي تفضلتم به بمنحي حق الخمس على الغنائم التي يمكنني الحصول عليها بغاليراتي، باستثناء المغاربة والأتراك الذين يجب أن يخدموا على متن الغاليرات، يبدو لي عادلاً⁵".

1 Ibid, p33.

2 J. Pignon : de 1606 "Les relations franco-tunisiennes au début du xviii siècle. , R.A. 1958, pp. 409-421.

3 Loys Guyon :Diverses leçons de..., cité par S. Millot, l'Afrique illustrée, 1926

4 Moulay Belhamissi : op. cit, p33.

5 Ellie de la Primaudae : Documents inédits, RA, 1875, pp 76-77.

لم تحتفظ بعض دول شمال أوروبا بالأسرى المسلمين. بل كانوا يبيعونهم للآخرين الذين كانوا يبحثون عن أيدي عاملة قوية. وكان الإنجليز يتخلصون من أسرى الحرب على نحو متكرر، ليس بدافع إنساني، بل لأنهم كانوا يزودون أنفسهم بالمجدين من الهند الشرقية والهند الغربية. وعندما كان الجزائريون يقعون في أيديهم، كانوا يعرضونهم للبيع على الإسبان أو على الدوق الأكبر لتوسكانا أو على الجنوبيين لخدمة غاليراهم.¹

4-المأساة اليومية للأسرى: يقول المؤرخ مولاي بلحميسي "إذا كانت لدينا معلومات شحيحة حول حياة الأسرى الجزائريين في إيطاليا ومالطا وإسبانيا (حيث لا تزال الأبحاث في أرشيفات هذه الدول قيد التقدم)، فإننا نعرف أكثر قليلاً عن المصير الذي حلَّ بهؤلاء المساكين عند وصولهم إلى فرنسا. والسؤال الأول الذي كان يطرحه هؤلاء الأسرى (والذي نطرحه نحن اليوم أيضاً) يتعلق بالدين. هل كان عليهم أن يتخلوا عن الإسلام في أرض المسيحية؟ لدينا إجابات تؤكد وتنفي في أعمال المؤرخين.²

يذكر دوشين Duchêne أن "الرجال والنساء كانوا يضطرون إلى التخلي عن أسمائهم الإسلامية واتخاذ أسماء أخرى... مسيحية" وأن المعمودية كانت تُفرض عليهم.³ ومع ذلك، لم يلاحظ أ. ديلور A. Delors سوى حالة تحول واحدة في موندلييه، وهي تحول تركي من مواليد قسنطينة، تم تعميده رسمياً في 10 فيفري 1674.⁴

وفي ليفورنو، كان الأسرى يحتفظون بحرية دينية. وكانوا يتمتعون بخدمات إمام للصلاة وقاضي للفصل في الخلافات. وابتداءً من عام 1607، كانوا يُلقون ليلاً في سجن خاص بهم للحفاظ على أمن السكان.⁵

1 Vittu : Relation de voyage du sieur Dancour... C.T. 99/1970, p. 317.

2 Moulay Belhamissi : op. cit, p34.

3 Roger Duchêne: Marseille au passé au fil des jours, p10.

4 A. Delorts : Mémoire de ce qui s'est passé de plus remarquable dans Montpellier depuis 1622 jusqu'à 1691, cité par Millot, l'Afrique du Nord illustrée, 1926, p 7.

5 كما احتفظوا بأزياءهم. كانوا ملفوفين بملايس من القماش الأخضر. مع سلاسل في أقدامهم. وكانوا أحد المعالم السياحية اليومية في المدينة عندما غادروا المستعمرة العقابية التي اكتمل بناؤها عام 1607.

(Braudel et Romano: Navires et Marchandises à l'entrée du port de Livourne... p. 25)

4Braudel et Romano: op. cit. p. 21.

وفقًا للأعمال الشاقة التي كانت تنتظرهم فور وصولهم، كان يتم توزيع العبيد إما على الأرض لدى الأفراد كخدم، أو في شركات، أو في السفن الحربية الملكية¹.

1-4 الأعمال الشاقة على الأرض: كان الأسرى يعملون في المدينة أو في الريف. وفي كلا الحالتين، كانوا يتعرضون لأقسى الأعمال الشاقة².

في عام 1601، كانت ورش العمل في ليفورنو تشغل بانتظام ألف حيوان حمل وألوفًا من العمال، معظمهم من العبيد والسجناء³.

كان يتم استخدام هذه القوى العاملة الرخيصة أيضًا في مؤسسات أخرى. فمثلاً، كان مصطفى خوجة ابن محمد خوجة، الذي أسّر في البحر على متن سفينة جزائرية يقودها طوبال رايس، يعمل في مستشفى سانتا لوسيا في نابولي عام 1764⁴. وكان علال ابن بن داود ونفيسة، الذي أسره أسطول الدين على متن سفينة جزائرية كانت تحت قيادة الرايس سليمان، قد

1 كان يتم توزيع العبيد المسيحيين في الجزائر بنفس الكيفية، أنظر على سبيل المثال، مذكرات الأسير البرتغالي جواو ماسكاريناس في مدينة الجزائر، ترجمة وتقديم لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022. ومذكرات الأسير النرويجي نيلز موس في مدينة الجزائر 1772-1769، ترجمة وتعليق الدكتور لخضر بوطبة، دار البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، 2019.

وكتاب بيار دان: تاريخ باربارية السابق ذكره. أنظر كذلك، قصة أسر وحرية السيد إيمانويل داراندا Emanuel d'Aranda. (تحت الطبع) ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.

2 أثارت بعض الكتاب مسألة تعذيب الأسرى المسيحيين في الجزائر ضجة كبيرة في أوروبا، أمثال الراهبان هايدو الإسباني، والأب بيار دان الفرنسي، وهو ما كان يجانب الحقيقة حسبما ذكر بعض الكتاب المنصفين أمثال لوجي دوطاسي والأسير الفلامانكي دارندا اللذان أكدا أن الآباء الثالوثيين كانوا يُلبسون الأسرى الذين تمكنوا من تخليصهم من العبودية في الجزائر بعد دفع فديتهم ألبسة الأسرى البالية ويقيدونهم بالسلاسل الثقيلة ويتجولون بهم في شوارع المدن الكبرى من أجل استعطاف قلوب المسيحيين وحملهم على التبرع بالأموال من أجل فداء الأسرى، يقول هذين المؤلفين أن تلك السلاسل لم يحملوها أصلاً قفي الجزائر. أنظر، لوجي دوطاسي: المصدر السابق، وإيمانويل داراندا: المرجع السابق كذلك.

4 Moulay Belhamissi : op. cit, p

Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 1A 73 (1316)

أُرسل إلى مالطا حيث كان يعمل في مصنع للقطن¹. وكان عبد الرحمن طولي، العبد على متن سفينة الغالير سانت لودوفيك في مالطا، يقوم بنفس العمل في ديسمبر 1764.² وقد تمكن بعض العبيد من الحصول على إذن لممارسة أنشطة حرفية أو تجارية، مثل بيع المشروبات أو الجزارة أو صناعة الأحذية. وبفضل أرباحهم الصغيرة، كانوا يتمكنون بعد الحرمان والتضحيات، من جمع المبلغ اللازم لفديتهم³. وكان دوقات توسكانا⁴ يمتلكون عددًا كبيرًا من الأسرى الجزائريين. وكانت مراسلاتهم مع حكام الجزائر تتضمن دائمًا ذكر هذا الأمر⁵. وفي فرنسا كان يمكن العثور على هؤلاء الأسرى في بروفانس وأماكن أخرى، يعملون في خدمة كبار الشخصيات منذ بداية القرن السابع عشر⁶ وفي بلدة بيليست Belleiste، لوحظ وجود خمسة جزائريين في خدمة دوق ميتز. وعندما طالب بهم باشا الجزائر في عام 1627، تدخل السيد دو بريفي، سفير فرنسا لدى السيد دو هيريو، مفوض الملك مشيرًا إلى أن "هناك خمسة من هؤلاء في بروطاني، تحت سلطة الدوق... لذلك، يجب على الملك أن يكتب إليه لإطلاق سراحهم وتسليمهم إلى من يحمل رسالة من

1 Moulay Belhamissi : op. cit, p

Archives du Gouvernement général de l'Algérie, IA 72 1292

2 Moulay Belhamissi : op. cit, p

3 لقد أشار العبيد المسيحيين الذين ساقهم القدر إلى الوقوع في الأسر في مدينة الجزائر بهذا الصدد إلى أن العبيد كان يُسمح لهم بالعمل كل حسب حرفته ومهارته من أجل التمكن من جمع المال لدفع مبلغ الفدية والحصول على الحرية المنشودة، وكان الأسياد نصيب مما كان يوفره العبد من عمله. أنظر على سبيل المثال لا الحصر، مذكرات الأسير البرتغالي جواو ماسكاريناس في مدينة الجزائر، ترجمة وتقديم لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022. الذي قال في موضع من مذكراته: "لكن على المرء أن يتعلم من القراءة أن العبادة الكاثوليكية كانت تمارس بحرية في السجون، وأنه كان هناك مستشفى لمعالجة الأسرى، وكانت هناك حانات، وكان الأسرى يمارسون التجارة وجمع بعضهم ثروة، وكانوا يتجولون أثناء النهار بحرية في مدينة الجزائر، وكان يمكنهم حضور الحمامات العامة (في حين كان ذلك ممنوعا على اليهود). وكان أولئك الأسرى الذين كانوا يشتغلون في الفلاحة في ضواحي مدينة الجزائر في حدائق أسيادهم يعيشون حياة ممتعة إلى حد ما."

4 Cosme 1, appelé Le Grand Duc (1537-1574); François (1574-1587), Ferdinand (1587-1609)

5 Bossy (Monique), Dix-huit lettres... adressées par les seigneurs d'Alger au Grand duc de Toscane (D.E.S. Faculté des Lettres d'Alger).

6 Turbet Delof, Bibliographie Critique, p. 61

جلالته إلى الأثر. لا يجب أن يتم إطلاق سراح البعض وحبس البعض الآخر، فهذا سيؤدي إلى إفساد كل شيء."

كان الأسرى الجزائريون الذين يعملون في المجاديف يخدمون أحياناً في المدينة عندما لا يكونون مجدفين. وكان البارون دو تيرنس، قائد سفن الغالير التابعة للملك، لديه أربعة منهم لخدمته الشخصية.¹

كانت إسبانيا تحتفظ بعناية بآلاف من هؤلاء الأسرى المساكين. وكان أصحاب السفن الأغنياء يستخدمون المسلمين في خدمتهم. وكان مغاربة من تلمسان في خدمة الكاردينال الأراغوني.²

لم تسلم المرأة ولا الطفلة الجزائرية من هذه المصيبة. فقد ترك أحد أمراء عائلة ماسيمو في روما، في وصيته المؤرخة في 4 ديسمبر 1570، سبعة عشر امرأة كعبيد. وتمنى أن يتم تعميدهن وتزويجهن في ممتلكاته.

وقد ادعى قراصنة من ليفورنو استولوا على سبع سيدات وفتيات من طرابلس (من بينهن اثنتين أو ثلاث من الجزائر)، أن هناك بينهن ثلاث فتيات صغيرات، أكبرهن لا تتجاوز الخامسة من عمرها، وأنهن عند أشخاص (يقومون بتربيتهن على الدين)، بينما كانت النساء في المنزل.³ وجه إسماعيل باشا طلباً إلى لويس الرابع عشر، يطلب منه "التكرم بإعادة ابنتي إبراهيم". وكان إبراهيم وزوجته خادمين لدى الباشا.

وفي ذات السياق روى الأسير البرتغالي جواو ماسكاريناس قصة فتاة من الجزائر تم أسرها حيث يقول: "وفي نفس الوقت اشترى تجار من ليفورنو فتاة مسلمة صغيرة، وهي ابنة تركي مهم من مدينة الجزائر، فأركبوها معهم على متن السفينة لأخذها إلى والدها، حسب المهمة التي كلفوا بها، ولكن الذي حدث هو أن هذه السفينة بسبب سوء الأحوال الجوية اتجهت إلى جزيرة كورسيكا. وشاهد سكان هذه البلاد الطفلة التي كانت صغيرة وجميلة جداً، لما جاؤوا لرؤية

1 Moulay Belhamissi : Les captifs algériens.... op. cit, p35.

Archive départementaire des Bouches du Rhône (A.D.B.R.) série 14 E819 (année 1664).

2 Coindreau : Les corsaires de Salé, p. 27.

3 Moulay Belhamissi : Les captifs algériens... op. cit, p35.

السفينة، فذهبوا لإبلاغ الأسقف الذي أرسل يطلب حضورها، وبمجرد أن رآها أخبر التجار أن إرسال مثل هذه الطفلة الصغيرة إلى البلاد البربرية أمرا مثيرا للظن، وأنه يتوجب عليه أن يقوم بتعميدها وجعلها مسيحية، فأخبر التجار هذا الأسقف بأنها ابنة تركي مهم من مدينة الجزائر، وأنه بأخذها ضد إرادة هذا الأب الذي كان قد دفع من ماله لإنقاذها يمكن أن يلحق الأذى بالمسيحيين المتواجدين في هذه المدينة، لكن الأسقف رفض كل هذه الأسباب وعمد الطفلة وأرجع التجار دونها.¹

4-2-المجذفون الأسرى: كان معظم الأسرى "الأقوياء والأصحاء يُجبرون على العمل في المجاديف. فقد تطلب تطور التجارة والبحرية التجارية، وتوسع الأساطيل الحربية التي كانت تخوض حروباً عديدة، توظيف مجذفين جدد. ولذلك، زاد الاعتماد على العنصر المسلم. ففي النصف الثاني من القرن السادس عشر، أصبح تجنيد المتطوعين صعباً. ولجأوا إلى استخدام المرتدين الذين تابوا، مقابل تخفيف العقوبة عليهم، ثم إلى إجبار المجرمين على العمل في المجاديف ابتداءً من القرن السابع عشر. ولكن لم يكن هناك بديل أفضل من الأسرى المسلمين! ولهذا السبب، لم تستطع أي بحرية مسيحية، باستثناء البندقية، الاستغناء عنهم. وقد رسخ رأي القبطان بانتيرو بانتيرا Pantero Pantera حول المجذفين المغاربة مبكراً في الغرب، حيث قال إن المغاربة هم أفضل المجذفين، وأفضل هؤلاء هم الذين يتم أسرهم من الفوستات والبريغانتين والغاليات وسفن الحرب الأخرى. فهم معتادون على التعب والحرمان وإدارة المجداف، وهم سباحون ماهرون.²

أ-عدد الأسرى: يطرح المؤرخ مولاي بلحميسي في دراسته عن الأسرى الجزائريين في البلاد المسيحية هذا السؤال: هل سنعرف هذا عدد هم يوماً ما؟ فقد كان الأسرى منتشرون في مختلف الدول البحرية في أوروبا، وكانوا يعملون في الخفاء، بعيداً عن عائلاتهم في الغالب. وفي ظل الوضع الحالي للأبحاث، لا يمكننا تقديم سوى أرقام تقريبية وإجابات غير كاملة.

1 جواو كارفالو ماسكاريناس: المصدر نفسه، ص 76

2 Plantet, Correspondance.... I, p. 104. Lettre de mars 1685.

في عام 1544، أظهرت قائمة لست غاليرات فرنسية وجود 210 أترك و79 مغاربيًا بربريسكيًا يجدفون في هذه الوحدات الملكية. وبين عامي 1568 و1578، تضاعف عددهم في نابولي ثلاث مرات، ليصبح هناك 3 عبيد مقابل كل 10 مجرمين، بدلاً من واحد في السابق.¹ وقد لوحظت نفس الظاهرة في صقلية، حيث كان المسلمون يشكلون ثلث المجدفين. وفي حوالي عام 1576، كانت هناك 22 غاليرة يعمل عليها 1428 عبدًا مقابل 1046 سجينًا فقط.² ومع زيادة عدد الغاليرات، ازداد عدد المجدفين. ففي طولون عام 1682، كان هناك 1026 مسلمًا. وفي عام 1695 كانت هناك 25 سفينة تحمل 5000 رجل، منهم 24% غير مسيحيين. وكانت هذه فترة ازدهار البحرية الفرنسية. ففي عام 1690، كان لدى لويس الرابع عشر في طولون 40 غاليرة، معتبرًا نفسه يملك أقوى أسطول من هذا النوع في أوروبا.³ وفي عام 1691، اكتشف محمد الأمين المبعوث الخاص من الجزائر إلى فرنسا، في مرسيليا وطولون، ما بين 70 و80 من طاقم والي راييس وتحدث معهم مطولاً.⁴ وبين عامي 1700 و1710 كان 10% إلى 15% من أفراد الطاقم في فرنسا من المسلمين، "وكانوا يوضعون في أصعب الأماكن وأخطرها."⁵ وفي عام 1720 كان 74%⁶ من العبيد المسلمين القادمين من شمال إفريقيا يعملون على الغاليرات البابوية في تشيفيتا فيتشيا.

ولم تكن إسبانيا استثناءً. ففي عام 1733 أرسلت أربع سفن إلى قرطاجنة، تحمل كل منها 170 مجدفًا مسلمًا. وبين عامي 1755 و1762، أظهرت إحصائية للمجدفين المغاربة

1 Moulay Belhamissi : Les captifs algériens... op. cit, p37.

2- فراي ديشو دو هايدو: طبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريش، الجزائر، 2022، ص 34.

3 Aymard: Mélanges... p. 75.

4 Plantet, Carespondance des Deys. 1, p297..

ملاحظة 1: رسالة دوسو من بونشارتران تهم السيد مونتمار بالسماح لمحمد الأمين برؤية كل شيء. (16 يوليو 1691). احتفلت ميدالية من تلك الحقبة بنجاح وقوة البحرية بعبارة: "ضمنت فرنسا سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط بأربعين سفينة حربية". 1688.

5 Zysberg, Marseille, cité des galères à l'âge classique, Marseille, Revue man pale, 1980, pp. 71-84.

6 Salvador Bono : Achat d'esclaves Turcs pour les galères pontificales. 19 Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, 39/1985-1.p n.17 (XVI-XVII).

والأندلسيين على السفن الإسبانية أن عددهم حوالي 1700.¹ وقد صرح القنصل البندقي في الجزائر عام 1766 بأن "أكثر من 30 رايس و2000 جندي من أفضل الجنود أسرى في إسبانيا". وبعد ذلك بقليل، أُعلن عن اعتقال الرايس مبارك والأميرية.²

وكان يتم توزيع المجادفين الأسرى مع المجرمين وفقاً لاحتياجات السفينة والظروف الراهنة. ففي عام 1667 كان على متن السفينة "الكابيتان" 27 مجدفاً، وعلى متن السفينة "الباترون" 21 مجدفاً، والسفينة القديس لويس 36، والدوفين 12، والشهيرة 22، والتاج 20، وصليب مالطة 16، والزنيق 26، والنصر 16، والقديس دومينيك 34، وفرنسا 16...³. كان الحاج محمد (حاجي ماميتو دي ألجي) على متن سفينة الغالير البابوية سانتا كاترينا.⁴

مع أن البحارة كانوا يؤدون مهاماً محددة على متن الغاليرات، إلا أننا لا نعرف الدور الذي كان يُوكل للانكشارية (الجنود البرية) الذين كانوا يُأسرون من سفن الجزائر، ويجدون أنفسهم أسرى مثل زملائهم في السلاح. وتشير بعض الوثائق إلى أن توزيعهم على الغاليرات الأوروبية كان يتراوح بين واحد إلى ثلاثة عشر. وقد وصلتنا بعض المعلومات حول بعضهم مثل أحمد بن جوهر الذي تم بيعه في ليفورنو منذ عامين، وعلي عدي الذي تم بيعه من قبل الإنجليز منذ ثمانية أعوام، وتم بيع حسان اسطانبولي وإبراهيم أوغلو وإيناس أوغلو وعلي فلاجيت أوغلو في مالطا. ومع ذلك، فقد نصح فرانسوا دو بريف في خطابه حول طرق تدمير وإضعاف

1J. Mathies : Levant, Barbarie et Europe chrétienne Bull d'histoire moderne 2/1958, p7.

2 Archives espagnoles, Ministère de la Marine, section course, dossier 861 (30 1807).

3Moulay Belhamissi : op. cit, p

ملخص عدد العبيد الأتراك الذين كانوا على السفن الحربية الملكية الذين يدعون بأنهم من الجزائر. كان الجزائريون مجدافين مهرة. ولذلك كانوا يستخدمون للإشراف على سجناء المملكة. ونص أمر ملكي وقعه لويس الرابع عشر وكولبير في 11 فبراير على الأعداد النظامية للطواقم، وكان المسلمون يشكلون ربعها، أي خمسون مقابل مئة وخمسين سجيناً، وذلك في ثلاث وثلاثين سفينة حربية من أصل ثمانية وثلاثين.

وفي السفن الأخرى، كانوا يشكلون إما الثلث أو النصف. وفي الفترة من 1680 إلى 1696، كان من أصل 7970 أسير منهم 2040 مسلم.

4Moulay Belhamissi : op. cit, p39.

العثمانيين في عام 1615 بعدم معاملة الانكشارية الأسرى بقسوة، بل على العكس من ذلك، محاولة جعلهم يحبون الدين المسيحي وإغرائهم.

ونظرًا لصعوبة تحديد العدد الدقيق للأشخاص الجزائريين الذين تم إرسالهم إلى المجاديف، يعتقد بعض المؤرخين، ربما بدافع الضمير، أنه كان هناك عدد متساوٍ من المجدفين المسلمين على الغاليرات المسيحية، وعدد المجدفين المسيحيين على الغاليرات الجزائرية.¹

ب- الاتصال الأول: قبل الصعود على متن سفينة الغالير، كان الأسرى يخضعون لفحص طبي. وفي فرنسا، لم يكن الملك يرغب في وجود أفواه عاطلة على سفنه. وكان المسلمون الذين يجلبهم ميسريل لا يُقبلون إلا بعد فحصهم من قبل الأطباء والجراحين للتأكد من سلامتهم وقوتهم وصحتهم وقدرتهم على التجديف.²

أما بالنسبة للوضع القانوني لهؤلاء الأسرى، فكان وضعهم غير واضح. فعلى الرغم من أن أي شخص يدخل الأراضي الفرنسية يعتبر حراً بموجب المعاهدات، إلا أن هذا القانون لم يكن ينطبق على الأتراك والمغاربة الذين كان يتم إرسالهم إلى مرسيليا للعمل في المجاديف.³

ج- السجلات: كان لكل أسير سجل خاص به في إدارة السجن، يذكر فيه اسمه ونسبه وأصله وعمره ومهنته ومكان شرائه وتاريخ وصوله، وأحياناً اسم الناقل واسم الغاليرة التي تم تعيينه عليها.

وكانت العلامات الخاصة مهمة جداً، حيث كانت تساعد في التعرف على الأسرى بسهولة أكبر، مثل ندبة على العين اليمنى، أو ضربة حديد على البطن، أو وشم على ظهر اليد اليسرى. وفي حالة عدم وجود علامات مميزة، كان يقال: قاممة متوسطة، قاممة طويلة، وجه دائري، شعر أبيض، إلخ.⁴

1 Moulay Belhamissi : Les captifs algériens... op. cit, p38.

2 Fournier : Un marché de Turcs... Bull. historique et philol. 1901, p. 572

3 Zysberg : op. cit., p. 71

4 Moulay Belhamissi : Les captifs algériens... op. cit, p39.

ومن الأمثل على ذلك: كان شعبان يحمل الرقم 7293. وهو ابن موسى ورعاش Raach قبل أسره، كان يصنع البابوش¹ في عنابة، من مملكة الجزائر، وكان يبلغ من العمر 28 عامًا... وكان لديه ندبة كبيرة فوق حاجبه الأيمن، وندبات أخرى في رأسه وذراعيه ويديه، وعلامة بارود على معصمه الأيمن.²

أحمد الصايدي ابن سايسي وأم هاني، بحار من الجزائر، كان يحمل علامة زرقاء على يده اليمنى، وأعرج من الجانب الأيمن، رقمه 7358.

في يناير 1707، طلب الداوي حسين³ من بوانشارتران بحارًا "كان يعمل في غاليات الملك ورقمه 6505. وطلب الرايس بكير، أثناء مهمته في مرسيليا عام 1711، الإفراج عن اثنين من الجزائريين مقابل فدية: وهما شقيقه بالرضاعة حسين عمر كان يحمل رقم 4612، الذي كان يعمل على متن سفينة الباترون، ووالي سفير الذي كان يحمل رقم 3341، الذي كان يجدف على متن سفينة الميزيل⁴. وكان مصطفى بن حسين، العبد على متن الغاليرة كارديس، يحمل الرقم 5812.⁵

د. الاستغلال المفروض: لم يكن المجدفون سوى قوة دافعة حيوانية للسفن. "كانوا مقيدين بالمقاعد ليلاً ونهاراً، وهناك كانوا يجدفون وهناك ينامون، وبكلمة واحدة، هناك كانوا يعيشون أو بالأحرى يبقون على قيد الحياة لسنوات عديدة. حياة بؤس وقبح! رجال يرتدون اللون الأحمر، رؤوسهم وحواجمهم ولحاهم محلقة، ويقومون في مكان طويل يسمى القوارب..."⁶ وكان التحدث ممنوعاً. والصوت الوحيد الذي كان يُسمع هو صوت السلاسل وصوت السوط وصرخات الغضب والألم. وكانت العذابات اليومية نصيبهم. كانت الضربات بالسوط والعصا تغطي أكتافهم العارية والدامية. وكان الضباط القساة يطلبون من هؤلاء الرجال المنهكين من

1 هي نوع من البلق.

2 سيتم إطلاق سراحه في 7 أكتوبر 1704 بأمر من الملك المؤرخ في 1 جويلية بعد دفع فدية قدرها 400 فرنك.

3 هو الداوي حسين خوجة باشا 1705-1707.

4 Moulay Belhamissi : op. cit, P40.

5 Plantet. Correspondance. II, 5. رسالة بكير رايس إلى بوانشارتران، مرسيليا، مارس 1711.

6 Plantet, op. cit. II, 926. رسالة الخزندار إلى لويس الرابع عشر، 1 نوفمبر 1714.

التعب والإرهاق بذل جهود خارقة وعمل شاق. يقول بول ماسون إن التجديف على الغاليات يختلف تمامًا عن استخدام المجداف في قارب ترفيهي أو قارب صيد "فكل ضربة مجداف تتطلب حركات وطاقات متعددة. كان على المجدف أن يقف، ثم ينحني للأمام ليحمل المجداف للخلف، ثم يثبت نفسه ويغرس المجداف في الماء ثم يعود إلى المقعد ليجذب المجداف للأمام بقوة أكبر... وكانت هذه التمارين تستمر لساعات دون راحة أو لحظة من الاسترخاء أو التشتت، لأن دقة التجديف يجب أن تكون مطلقة، وإلا اصطدمت المجاديف ببعضها البعض. كان العنف والرعب يربطان المجدف بمكانه. وبأقل سبب، كانت عصا الحارس تشق ظهره العاري".¹

ويصف إ. سوي (E) Sue هذه العذابات البائسة، ويقول إن وجوههم القاتمة لم تعرف الابتسامة أبدًا. كانوا حزينين بلا مبالاة، مرهقين ويائسين، وكانوا يذرفون دموعًا خفية عندما كانت الصدفة تقودهم إلى الأراضي الإفريقية... أرضهم الموعودة حيث عاشوا سعداء وأحرارًا تحت سقوف النخيل أو في خيامهم.²

أمر قائد كتالوني بغضب شديد من مجدفيه المسلمين الذين لم يكدحوا بما فيه الكفاية أثناء عملية صيد، بتثبيتهم بأظافر حديدية في مقاعد التجديف، عقابًا لهم.³ كانت حالات التمرد أو محاولات الهروب شائعة على متن السفن. كان المجدفون يفضلون الموت الفوري على العيش مقيد بالأغلال. هذا ما حدث على متن الطراد الفرنسية التي اشترت (أفريل 1680) سبعين مغاربيًا من الأرخبيل ليعملوا في المجاديف الفرنسية. قام الأسرى بتحطيم سلاسلهم، وحاولوا الصعود إلى سطح السفينة للهروب. فألقى القبطان قنابل يدوية في قاع السفينة لإخماد التمرد.⁴ والذي زاد من محتهم هو أنهم، كأجانب، لم يفهموا كلمة واحدة بلغة أسيادهم الجدد، مع اضطرارهم إلى تعلم الملاحة والتجديف بسرعة. دون أي تدريب، فالوحشية التي كانوا ضحاياها علمتهم بسرعة ما يجب عليهم فعله.

1 Moulay Belhamissi : op. cit, P41.

2 E. Sue : Histoire de la Marine française, II, p. 35.

3 Sue (E) : op, cit, p36.

4 Loup Durand : Pirates et Barbaresques Aubanel, 1975, p. 186.

كان من السهل تخيل عواقب هذا الاستغلال المفرط. فقد كانت هذه الحياة القاسية تودي بحياة ثلثي العمال في غضون 7 أو 8 أسابيع من صعودهم على متن السفن. كانت الرائحة الكريهة والأوضاع المزرية تفتك بأجسادهم. وكانت الحشرات تنهش لحومهم. تجدر الإشارة إلى أن الصفارة الرابعة عشرة من التمرينات اليومية المفروضة على المجدفين كانت تتطلب منهم هز قمصانهم، للتخلص من القمل. وكانت الأوامر الصادرة في عام 1549 توصي بحلق شعرهم كل 15 يوماً. "الذباب نهراً، والبق ليلاً، والقمل والبراغيث نهراً وليلاً"¹ كانت تُهاجم بلا رحمة أجسادهم المنهكة والضعيفة بسبب التغذية الضعيفة التي كانت تقتصر على حساء الفول بالزيت.

هـ-سجنين جحيم: مرسيليا وطولون: من بين جميع المدن الساحلية في شمال البحر الأبيض المتوسط التي استخدمت القوة البدنية للأسرى على نطاق واسع، احتلت مرسيليا وطولون مكانة خاصة.

في مدينة فوكا² كان المجدفون عندما لا يكونون مشغولين بالتجديف، يستأجرهم أصحاب العمل والتجار وأصحاب السفن للعمل كعمال. وكانت تُوكل إليهم جميع الأعمال الشاقة. وخلال وباء الطاعون الكبير عام 1720³، طُلب منهم نقل ودفن عدد كبير من الجثث.⁴ وكانوا هم الوحيدون المكلفون بدور "الغراب"...

1 Moulay Belhamissi : op. cit, p

خلال هجوم دوكين على الجزائر عام 1683، دُمرت السفينة الحارقة سيربانت Serpant من طرف الأسرى الجزائريين الذين أشعلوا النار فيها سرا. La Roncière : «Le bombardement d'Alger 1683. p. 14.

2 هي مدينة يونانية في البحر الإيوني على ساحل بحر إيجه.

3 هو طاعون رهيب ضرب مدن شمال البحر المتوسط وعرف بطاعون مرسيليا، وخلف خسائر بشرية كبيرة وامتد حتى سواحل شمال إفريقيا. حول هذا الطاعون أنظر :

Jean Marchika : la peste en Afrique septentrionale, Alger, 1927, p121.

4 حول هذا الطاعون الذي دام 12 أسبوعاً أنظر:

J. Figarida : Marseille et la peste de 1720, Rev. Marseille, n° 105-106, 1976, pp. 3-16.

تم تجميع الأسرى في فرق عمل وكلفوا بمهمة تنظيف المدينة. أُخرج ستة وعشرون من المرضى من السجن بوعد بالحرية إذا نجوا من الوباء، ولكنهم سُلموا للموت (يا للحرية البائسة، لقد فقدوا أرواحهم في يومين).

Carrière Courdurié et Rebuffat : marseille ville morte, la peste de 1720 , marseille , 1968, p92.

كما كانت الحال على السفن، كانت القيود المفروضة على الأسرى على البر تجعل حياتهم جحيماً لا يُطاق. وقد صدر حكم من البرلمان الفرنسي في عام 1627، بناءً على طلب من مجتمع مدينة مرسيليا، يقضي بجمع العبيد الأتراك الموجودين في غاليرة البارون الألماني في إحدى غاليرات الملك، مع منع القباطنة من السماح للعبيد بالخروج.¹

ورغم هذه الإجراءات القمعية، كان وضع المساكين في مرسيليا أفضل نسبياً مقارنة بأشقائهم في طولون. فقد كان النشاط التجاري يسمح لهم بتوفير بعض النقود، ثمرة عمل شاق، لشراء حريتهم عندما يحين الوقت.²

أصبحت طولون منذ عام 1624، مقراً لغاليرات ملك فرنسا، وكانت ترسانتها مليئة بالعبيد المسلمين. ولكن القمع كان أكثر شدة هناك مقارنة بمرسيليا.

في عام 1684 وبعد الفشل في غزو الجزائر،³ جاءت سفارة جزائرية إلى فرنسا للتفاوض على معاهدة سلام. وقد أمر السيد دو فوفر بإرسال ممثلي الإيالة الجزائرية إلى طولون قبل عودة غاليرات الملك، حتى لا يلتقوا بأبناء وطنهم الذين كانوا يعملون على متنها.⁴

كان ولاية مرسيليا وطولون محل انتقاد شديد في الجزائر. فقد كانت أفعالهم تثير غضب الحكام الجزائريين. وكان الداوي شعبان (1688-1695) يشتكي باستمرار إلى لويس الرابع عشر من معاملتهم السيئة للجزائريين، قائلاً: "إنهم يمنعون دائماً العبيد المساكين من تلقي رسائلهم ويخفون الحقيقة. لقد تم قراءة طلبات هؤلاء العبيد حول أوضاعهم مع رسائلهم بحضور الديوان الكريم والمليشيا، وشعر الجميع بصدمة غريبة."

1Moulay Belhamissi: op. cit, p.

2 مذكرات ثيدنا أسير وخزندار باي معسكر محمد الكبير، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريريج، الجزائر، 2024، ص33.

3 منذ عام 1680 بدأت العلاقات تتدهور بين الجزائر وفرنسا بسبب عدم توقف الفرنسيين عن امتناعهم عن رد الأسرى الجزائريين الذين كانوا يستعملونهم كمجدفين في غاليراتهم، مما جعل الجزائريين يشددون القرصنة على السفن الفرنسية، وغنموا غنائم معتبرة. وفي سنة 1683 قام الفرنسيون بقتل مدينة الجزائر وتسببوا في خسارة كبيرة. أنظر لمنور مروش: المرجع نفسه. وقبل ذلك في عام 1664 دخل الملك الفرنسي لويس 14 في مغامرة حيث تمكن من احتلال مدينة جيجل، ولكن الحكومة وبالتعاون مع الأهالي المنطقة تمكنوا من طرد الفرنسيين منها بعد حوالي ثلاثة أشهر. لمزيد من التفاصيل حول هذا الغزو أنظر:

Ernest Watbled:« Expédition du Duc de Beaufort contre Djidjeli 1664», in, R.A, n°: 18, 1873, p228.

4 Moulay Belhamissi : op. cit, p39.

وفي عام 1749، أشار الداوي ابراهيم باشا (1732-1745) إلى القنصل الفرنسي لومار إلى شكاوى البحارة المسلمين الذين اشتكوا من حرمانهم من مكان مناسب للصلاة في طولون، وأن ضابط بحرية قد سرق منهم القليل من المال الذي كان بحوزتهم بحجة استخدامه لشراء احتياجاتهم.¹

زار ألوي Alhoy ميناء طولون في منتصف القرن الـ 17 ووجد ثلاث فرقاطات متأكلة. وقال: "إنها سجون عاثمة... يعيش العبيد في مخازن هذه السفن القديمة، بلا مقاعد، متكدسون مثل البضائع التي يحملها تاجر الرقيق. كان الهواء الذي يتنفسه هؤلاء المساكين، ملوث برائحة الطعام، يشبه هواء إفريقيا المصاب بالطاعون."² كان العاجزون والضعفاء جدًا للعمل يُحشرون في سفن مهجورة حيث كانت الأوساخ والعدوى تفتك بهم.

5-مدة المحنة: لم يكن الأسر مجرد مأساة تستمر لبضعة أشهر. فقد طالت مدة الأسر بالنسبة للبعض لدرجة أنهم لم يجدوا خلاصًا منها إلا بالموت. وبالنسبة للكثيرين الآخرين، بدأت في ريعان الشباب وانتهت في شيخوخة.

وقد احتفظت سجلات ميناء طولون بآثار تلك السنوات العصيبة، ونقدم هنا بعض الأمثلة على هؤلاء التعساء:

قاسم الجزائري، ابن محمد، يبلغ من العمر 45 عامًا، طويل القامة، أسود الشعر واللحية... أُسر عام 1663... أُفرج عنه في 23 ديسمبر 1693.

حجي محمد الجزائري، ابن بوسيتي، يبلغ من العمر 80 عامًا، قصير القامة، أبيض الشعر... أُسر عام 1650... أُفرج عنه في 23 أكتوبر 1684.

علي الجزائري، ابن عمر ومباركة، يبلغ من العمر 20 عامًا... أُسر عام 1678... أُفرج عنه في 17 نوفمبر 1706.

محمد الجزائري، ابن دالي، يبلغ من العمر 30 عامًا... أُسر عام 1669... أُفرج عنه في 16 فيفري 1698.

1 Plantet : Correspondance.... I, p. 354. Lettre du 29-10-1691.

2 Vallièr: op. cit. p. 79.



جامعة وهران
Université
Oran
1
أحمد بن بلة



نابي البوني، ابن سليمان، يبلغ من العمر 40 عامًا... أُسر عام 1662... أُرسل إلى ليفورنو في 4 سبتمبر 1686.

محمد الجزائري، ابن عبد القادر ومرزوقة، يبلغ من العمر 42 عامًا... أُسر عام 1656... أُفرج عنه في 23 ديسمبر 1698. (على الرغم من أنه حصل على إعفائه الرسمي في 31 يناير 1694. سليمان المستغانمي، يبلغ من العمر 37 عامًا... أُسر عام 1663... أُفرج عنه في 28 فيفري 1690.

شعبان الجزائري، يبلغ من العمر 45 عامًا، أشقر الشعر، أُسر عام 1664... أُفرج عنه في 23 أكتوبر 1684.

عبد الله الجزائري، أسود البشرة، ابن علي، يبلغ من العمر 50 عامًا، وصل عام 1667... أُفرج عنه عام 1684.

عبناس الجزائري، ابن علي، يبلغ من العمر 35 عامًا، متوسط القامة... أُسر عام 1664... أُفرج عنه في 23 أكتوبر 1684.

بلخير الجزائري، يبلغ من العمر 30 عامًا... أُسر عام 1664. أُفرج عنه في 19 جويلية 1700. سايط من جيجل، يبلغ من العمر 44 عامًا، أُسر عام 1672... أُفرج عنه في 23 ديسمبر 1693. ومع ذلك، ورغم كل تلك المعاناة الطويلة، تمكن بعض الجزائريين من العودة إلى وطنهم وإنهاء حياتهم بين أحبائهم، بينما لم يحالف الحظ آخرين. فقد قضى الموت عليهم بعيدًا عن وطنهم. وتشير الوثائق إلى وفاة مفاجئة أو وفاة في المستشفى أو وفاة في الحملة، مثل قارة حسن الجزائري، ابن مصطفى الذي كان يبلغ من العمر 40 عامًا... أُسر عام 1669 وتوفي في المستشفى في 8 ماي 1689¹.

الخاتمة: من خلال ما سبق يمكننا الاستنتاج:

- أنه خلال العهد العثماني، كانت السواحل الجزائرية تتعرض لهجمات متكررة من قبل القراصنة والبحارة الأوروبيين الذين كانوا يختطفون السكان المحليين بهدف تكوين فرق التجديف في السفن الحربية أو بيعهم كعبيد في أسواق أوروبا.

- حتى في الموانئ التي كان من المفترض أن تكون آمنة، كان الجزائريون يتعرضون لخطر الأسر والاعتقال.

- عانت البحرية الجزائرية من خسائر فادحة في الأرواح وفي المعدات، نتيجة مشاركتها المستمرة إلى جانب الأسطول العثماني في الحروب البحرية، وقد تسببت هذه الخسائر في إضعاف القوة البحرية الجزائرية، وفقدانها لكثير من خبراتها.

- لم يقتصر الأسر على البحارة فقط، بل شمل أيضاً المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ. خلال الفترة التي تمت دراستها، شهدت العديد من المدن الساحلية في البحر الأبيض المتوسط ازدهاراً كبيراً لتجارة العبيد، خاصة العبيد المسلمين من شمال إفريقيا. وكانت مدن مثل مالطا، ليفورنو، صقلية، البندقية، نابولي، جنوة ومرسيليا من أهم مراكز تجارة العبيد. - كان الأسرى الجزائريون والتونسيون والليبيون يشكلون الجزء الأكبر من العبيد الذين يتم تداولهم في هذه الأسواق.

- كانت الأسباب وراء هذه التجارة هي الرغبة في الحصول على أيدي عاملة رخيصة لتجديف السفن الحربية، وكذلك الرغبة في تحقيق الأرباح.

- كانت تجارة العبيد جزءاً لا يتجزأ من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العديد من المدن الأوروبية في تلك الفترة، وكانت لها آثار عميقة على حياة ملايين الأشخاص.

- كانت هناك سياسة ممنهجة لاستحواذ الدول الأوروبية، وخاصة فرنسا وإسبانيا، على العبيد المسلمين، وخاصة الجزائريين، بهدف استخدامهم كأيدي عاملة رخيصة في المجاديف.

- كانت حكومات الدول الأوروبية متورطة في العملية، من خلال تشجيعها على شراء العبيد المسلمين وتوفيرهم لسفنها الحربية.

- كانت تجارة العبيد تجارة مربحة للغاية، حيث كان يتم بيع العبيد بأثمان مرتفعة وتقديمهم كهدايا إلى الشخصيات المهمة.

- أدت هذه السياسة إلى معاناة إنسانية رهيبة، حيث عاش الآلاف من الأشخاص من عبودية قاسية لا ترحم.

- كانت هذه السياسة جزءاً من الصراع الدائم بين الدول المسيحية والإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، وكانت لها آثار عميقة على حياة الكثير من الأشخاص.

- كان يتم استغلال الأسرى في أعمال شاقة ومتنوعة، سواء في الزراعة أو الصناعة أو في الخدمة المنزلية، علاوة على العمل في المجاديف على متن السفن الحربية في ظروف مأساوية ومهينة.

- تعرض الكثير من الأسرى للإكراه على تغيير دينهم، رغم أن البعض تمكن من الاحتفاظ بمعتقداته، علاوة على التمييز عنصري والتعذيب، كانوا يخضعون لرقابة مشددة.

- الأسر الذي تعرض له الجزائريون في أوروبا لم يكن قصير الأمد، بل امتد لسنوات طويلة في بعض الحالات.

- عانى الأسرى من ظروف معيشية مزرية، حيث كانوا يعانون من سوء التغذية والأمراض والاكتظاظ.

- تركت المدة الطويلة من الأسر آثارًا نفسية وجسدية عميقة على الأسرى، حيث حرّموا من عائلاتهم وبلدهم وحرّيتهم.

المصادر والمراجع:

1- ألبير دوفو: دفتر تشریفات. ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.

2- بيار دان: تاريخ باربارية وقراصنتها. ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.

3- ثيدنا: مذكرات ثيدنا أسير وخزندار باي معسكر محمد الكبير، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريّج، الجزائر، 2024.

4- جواو كارفالو ماسكاريناس: مذكرات الأسير البرتغالي جواو ماسكاريناس في مدينة الجزائر، ترجمة وتقديم لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022.

5- جون أندري بيسونال: رحلة إلى إيالة الجزائر، ترجمة وتقديم لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022.

6- جون وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، م. و.ك، الجزائر، 1986.

7- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم.

8- طوماس شو: رحلة إلى إيالة الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريّج، الجزائر، 2022.

- 9-فراي ديشو دو هايدو: تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريش، الجزائر، 2022.
- 10- فراي ديشو دو هايدو: طبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريش، الجزائر، 2022.
- 11-فونتيير دوبارادي: الجزائر خلال القرن الثامن عشر، ترجمة وتقديم لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022.
- 12-قصة أسر وحرية السيد إيمانويل داراندا Emanuel d'Aranda. (تحت الطبع) ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.
- 13-قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو بانانتي [Filippo Pananti](#) في مدينة الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.
- 14-لمنور مروش: دراسات عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، ج 2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- 15-لوجي دوطاسي: تاريخ مملكة الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024. دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.
- 16-مذكرات شوفالي دارفيو، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريش، الجزائر، 2023.
- 17-نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1965.
- 18-نيلز موس: أسير نرويجي في مدينة الجزائر 1769-1772، ترجمة وتعليق الدكتور لخضر بوطبة، دار البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، 2019.
- 19-هنري دالما دوغرامون: تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.

1-A. Zeisberg : Marseille, cité des galères à l'âge classique » Marseille, Rev, municipale, 3/180.

2-A. Berbrugger : Correspondance administrative sous Louis XIV, t. II, p. 888, cité par R.A., 1856.

3-A. Delorts : Mémoire de ce qui s'est passé de plus remarquable dans Montpellier depuis 1622 jusqu'à 1691, cité par Millot, l'Afrique du Nord illustrée, 1926.

4-Bennassar Bartolomie: Histoire des Espagnoles, 1. du VI^e au XVII^e siècle, Armand Colin, éd, Paris, 1985.

5-Bossy (Monique) : Dix-huit lettres... adressées par les seigneurs d'Alger au Grand duc de Toscane (D.E.S. Faculté des Lettres d'Alger).

6-Braudel et Romano : Navires et Marchandises à l'entrée du port de Livourne (1547-1611)

- 7-Carrière Courdurié et Rebuffat : marseille ville morte, la peste de 1720 , marseille , 1968.
- 8-Coulet du Gard: la Course et la piraterie en Méditerranée, éd, Empire, Paris, 1980.
- 9-Ellie de la Primaudae : Documents inédits, RA, 1875.
- 10-Fernand Braudel : La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris, 1985, II.
- 11-Fournier : Un marché de Turcs... Bull. historique et philol. 1901
- 12-J. Figarida : Marseille et la peste de 1720, Rev. Marville, n° 105-106, 1976.
- 13-J. Mathies : Levant, Barbarie et Europe chrétienne Bull d'histoire moderne 2/1958.
- 14-J. P. Vittu : un document sur la Barbarie en 1680-1681, la relation de voyage du sieur Dancourt... Cahiers de Tunisie, 1977, p. 300. La partie concernant l'Algérie.
- 15-J. Pignon : de 1606 "Les relations franco-tunisiennes au début du xviii siècle. , R.A. 1958.
- 16-Jacques Heers: les Barbaresques, la course et la guerre en méditerranée XIV^eXVII^e siècle, Ed, LAP, Perrin, 2001.
- 17-La Croix (Le Sieur) : Relation universelle de l'Afrique ancienne et moderne, II.
- 18-La Roncière : Histoire de la Marine française, IV..
- 19-Loup Durand : Pirates et Barbaresques Aubanel, 1975.
- 20-Loys Guyon: Diverses leçons de..., cité par S. Millot, l'Afrique illustrée, 1926
- 21-Malherbe : (1555-1628), œuvres, Bibliothèque de la Pléade, Gallimard, 1971,
- 22-Mathieux : Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVI et XVII^e siècles», A.E.S.C. 1954.
- 23-Mathieux :Levant, Barbarie et Europe chrétienne Bull. de la Société d'Histoire moderne, 2/1958.
- 24-Moulay Belhamissi : Histoire de la Marine Algérienne 1516-1830, E. N.A. L, Alger, 1986.
- 25-Moulay Belhamissi : Alger et l'Europe et la guerre secrète (1518- 1830), Ed, Dahlab, Alger, 1999.
- 26-Moulay Belhamissi : Les captifs algériens et l'Europe chrétienne (1518-1830), édition ENAL, Alger, 1986.
- 27-O. Teissier : Une visite à l'arsenal de Toulon, Paris, 1961.
- 28-P. Hubac : Les barbaresques, (Collections :Histoires d'Outre Mer), Berger Levrault, Paris, 1949.
- 29-P. Masson : Les galères de France, Marseille port de guerre (1481-1781) par chez Hachette, 1938.
- 30-Selvador Bomo : Achat d'esclaves Turcs pour les galères pontificales. 19 Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, 39/1985-1.p n.17 (XVI-XVII.
- 31-Vittu : Relation de voyage du sieur Dancour... C.T. 99/1970.
- 32-Zysberg : Marseille, cité des galères à l'âge classique, Marseille, Revue man pale, 1980.